

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وسيد الخلق
أجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين .
ويعد ...

لقد عتني علماء العربية منذ القرن الثاني الهجري بجمع أشعار العرب في الجاهلية
خدمة للعربية واستجابة لحاجات الدراسات التي عنيت بتفسير القرآن الكريم ، ومحاولة
الوقوف على سر إعجازه .

ولما كان أسلوب التجريد أحد الأساليب المهمة في الشعر العربي - والجاهلي منه
بوجه خاص - فقد رأيت أن أقف على هذا الأسلوب لتأمل أسرارهِ البلاغية في أشعار
الجاهليين .

والحق فإن التجريد يعد انعكاساً لحال شعورية ما في نفس الشاعر ، هذه الحال التي
تلح عليه إلحاحاً ، فلا يجد مناصاً من التعبير عنها بالتجريد .

ويعد التجريد من أبرز الأساليب التي شاع استخدامها في الشعر الجاهلي ، فعن
طريقه " يتمكن المخاطب من إجراء الأوصاف المقصودة من مدح أو غيره على نفسه ، إذ
يكون مخاطباً بها غيره ، ليكون أعذرو أبرأ من العهدة فيما يقوله غير محجور عليه " (١) .

(١) ضياء الدين بن الأثير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق د. أحمد الحلوي و د. بدوي طبانة . مكتبة
لهضة مصر ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٣ م ، ١٦٠/٢ .

ولقد تعرض هذا الأسلوب في تراثنا البلاغي لكثير من الحلط والاصطراب ببعض المباحث البلاغية الأخرى ، فنحن حين نتأمل مسيرة ذلك الأسلوب في مؤلفات هذا الموروث نجد تارة ينسب إلى علم البيان ، وأخرى إلى علم البديع ، مما جعله يمر بمراحل عدة حتى يصل إلى مفهومه الحالي :

فقد بدأ تناول التجريد بملاحظة وجوده في الاستعمال اللغوي ، و يعد سيبويه (ت ١٨٠ هـ) - إن لم يكن أولهم . هو ممن له فضل السبق في تناول التجريد وملاحظته وذلك في كتابه " كتاب سيبويه " ^(١) ، الذي وإن جاءت الإشارة إليه باقتضاب وإيجاز شديدين إلا أن تناوله له كان له أكبر الأثر فيمن أتى بعده من العلماء ، فنراهم قد عنوا بآرائه وضمنوها كتبهم ونسبوها إليه .

" ويبدو أن أبا علي الفارسي (ت ٣٧٧ هـ) هو أول من سمى هذا النوع بالتجريد ^(٢) كما يدل على ذلك قول ابن أبي الحديد في كتابه " الفلك الدائر على المثل السائر " ^(٣) .

ثم تطورت الدراسة من مرحلة الملاحظة والتعرف إلى مرحلة التوضيح والتفسير لذلك الأسلوب ، ويظهر ذلك جليا في كتاب " الخصائص " لابن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، حين خصص له بابا عنوانه (باب في التجريد) ^(٤) ، تحدث فيه عن معنى الأسلوب ، وصوره بل لقد تعدت رؤيته للأسلوب مرحلة التوضيح والتفسير إلى مرحلة الإشادة والإعجاب

(١) ينظر : سيبويه : كتاب سيبويه ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٧ م ، ١ / ٣٨٩ ، ٣٩٠ .

(٢) عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي ، نهضة مصر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٣٣٣ .

(٣) يراجع : ابن أبي الحديد : الفلك الدائر على المثل السائر ، قدم له ، و حققه ، و علق عليه د أحمد الحوفي ، و دبوي طبقة ، دار نهضة مصر للطبع و النشر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٤) يراجع : ابن جني . الخصائص ، حققه محمد علي النحار . دار الهدى للطباعة و النشر . بيروت ، ط ٢ ، د.ت ، ٤٧٣ / ٢ : ٤٧٦ .

يتضح ذلك في مصطلحه الشهير (شجاعة العربية)^(١) فنراه " تحدث تحت هذا العنوان عن أساليب كثيرة نخرج على خلاف مقتضى الظاهر كضمير الشأن أو القصة وتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، والتقديم والتأخير، والتجريد"^(٢).

وجاءت مرحلة الخلط والاضطراب لأسلوب التجريد، وفيها اعتبر هذا الفن ضمن التشبيه " وأول من اعتبر التجريد ضمن التشبيه هو الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) حين تحدث عن المبالغة في التشبيه وضرب أمثلة من التشبيه البليغ وأمثلة من التجريد جعلها ضمن التشبيه"^(٣)، ويظهر ذلك جليا في كتابه " دلائل الإعجاز"^(٤)، و" أسرار البلاغة"^(٥)، وتبعه في ذلك السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) وذلك في كتابه " مفتاح العلوم"^(٦)، فنراه في تعرضه للتجريد يدخله وصورة المختلفة في مباحث التشبيه مقتديا بآراء بعبد القاهر^(٧).

ثم تأتي مرحلة التقنين والتحديد، ويمثلها ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٢٧ هـ) في كتابه " المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، حيث قصر التجريد على قسمين : هما تجريد محض، وتجريد غير محض، وعد التجريد بالحروف تشبيها مضمرا لأداة^(٨) وعد

(١) والجدير بالذكر أن ابن جنى وإن لم يدرج التجريد في حديثه عن " شجاعة العربية" فإن هذا المبحث قد تضمن الإشارة إلى بعض من الصور التي تتصوّر تحته بمفهومه الواسع الذي جرينا عليه في هذا البحث، ينظر : ابن جنى : الخصالص، ٢ / ٣٦٠ : ٤٤٧ .

(٢) د. أسامة البهجري : تحولات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة للطباعة والنشر والتوزيع، طنطا، ٢٠٠٠م، المقتمة ص ١٧ .

(٣) د. عبد الله علي محمد حسن : صور المبالغة عند السلماسي، مركز فجر لخدمات الطباعة، القاهرة، د. ت ص ٣٦ (٤) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز، لراء و علق عليه محمود شاكر، مكتبة الخاتمي، القاهرة، ط ٥، ٢٠٠٤ م، ص ٦٨، ٤٢٥ .

(٥) ينظر : عبد القاهر الجرجاني : أسرار البلاغة، قرأه و علق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ط ١، ١٩٩١م، ص ٣٣٤ : ٣٣٧ .

(٦) السكاكي : مفتاح العلوم، ضبطه و كتب هوامشه و علق عليه أنعم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٧ هـ، ١٩٨٧ م، ص ٣٥٤ .

(٧) د. شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف بمصر، ط ٣، د. ت، ص ٣٠٤. بتصرف يسير.

(٨) ينظر : ابن الأثير : المثل السائر، ٢ / ١٦٥، ١٦٦ .

كذلك التجريد من علوم البيان بقوله : " قد نقل هذا المعنى إلى نوع من أنواع علم البيان"^(١) ، وهو تصور قد تنعه فيه العلوي (ت ٧٤٩ هـ) ، في كتابه " الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز " ، حيث عد التجريد نوعاً من : " محاسن علوم البيان ولطائفه "^(٢) ، وفي حقيقة الأمر فإن نظرة عبد القاهر والسكاكي في وضع التجريد والتشبيه في سلة واحدة نجدها " يمكن أن تتفق مع رأي ضياء الدين بن الأثير حيث بين أن فائدة التجريد التوسع في الكلام وإذا عرفنا أن المجاز عند ابن الأثير يشمل التشبيه والاستعارة والتوسع في الكلام عرفنا كيف يمكن أن يكون التجريد توسعاً لأنه ينظر إليه على أنه تشبيه أو استعارة أو توسع في الكلام "^(٣) .

وتصل الدراسة بعد ذلك إلى مرحلة التحليل والتفصيل ، ويبرز فيها جهد الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) ، في كتابه " التلخيص في علوم البلاغة "^(٤) ، و" الإيضاح في علوم البلاغة "^(٥) ، الذي أدرج فيهما التجريد ضمن مباحث البديع المعنوي ، وعدد فيهما صور التجريد المختلفة بعد تعريفه ، وذلك بإيجاز وتبسيط ، لا يخلو من فنية التحليل ومنهجية الطابع ، وسار أتباعه على نهجه وزادوا على جهوده إضافات وشروحات كثيرة فقام شراح التلخيص^(٦) ، وهم التفتازاني ، ابن يعقوب المغربي السبكي والدسوقي بحاشيته ، بالاستفاضة في شرح شواهد التلخيص وعباراته بطابع يغلب عليه جانب

(١) ابن الأثير : المعال السائر ، ٢ / ١٦٠ .

(٢) العلوي : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة و علوم حقائق الإعجاز ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ ، ١٩٨٠ م ، ٣ / ٧٣ .

(٣) د. عبد الله علي محمد حسن : صور المبالغة عند السجلماسي ، ص ٣٧ .

(٤) يراجع : القزويني : التلخيص في علوم البلاغة ، ضبطه و شرحه عبد الرحمن الترقوقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٣٥٠ هـ ، ١٩٣٢ م ، ص ٣٦٨ : ٣٦٩ .

(٥) يراجع : القزويني : الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح و تعليق و تفيح د. محمد عبد المنعم خفاجي ، منشورات دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط ٤ ، ١٣٩٥ هـ ، ١٩٧٥ م ، ١ / ٥١٢ : ٥١٣ .

(٦) يراجع : شروح التلخيص ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، القاهرة ، د. ت ، ٤ / ٣٤٨ ، ٣٥٧ .

التنوق ، وتحليل في متميز ، وإن لم يغب عنه جانب التقنين والتقعيد الذي أكسبه طابع المنهجية .

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع ، فثمة قصة أجملها في الآتي :

لقد توفرت لدي الرغبة في دراسة القرآن الكريم ومحاولة الوقوف على سر إعجازه وبلاغته منذ تقدمت للسنة التمهيدية للماجستير ، وما إن شرعت في البحث عن أحد الموضوعات إلا وقابلتني عقبة تكرر تناولها سابقا من قبل ، وكنت في ذلك الوقت تحت إشراف أ.د حسن عباس ، وترددت في مسامعي حينها مقولة أ.د حلمي القاعود ، عن تكرار بعض المباحث في بلاغة القرآن الكريم ولكن تحت مسميات مختلفة والتعليق بقوله لأي من تلك المباحث التي سبق تناولها من باحثين آخرين أنه " قد قتل بحثا " ، ما دفعني بعد أن أضناني البحث إلى التوجس خيفة أن يكون البحث الذي أبغي تناوله قد سبق تناوله سلفا ، وبعد نصيحة أحد زملائي توجهت إلى أ.د أسامة البحيري ، أثناء فترة الإجازة قبل سفره ، وهو اللقاء الأول ، إذ لم أنل شرف التتلمذ على يديه أثناء دراستي بالكلية ، فعرضت عليه الأمر ، فأشار عليّ ناصحا بهذا الموضوع وهو تناول أسلوب التجريد في الشعر الجاهلي ، بوصفه مجالا خصبا لم يظفر بكثير من الدراسات المستقلة التي تحاول رصد صورته وبيان جمالياته فأردت التوفيق بين رغبتي في البحث (في بلاغة القرآن الكريم) وما أشار عليّ به أ.د أسامة ، وذلك بتناول ظاهرة التجريد في القرآن الكريم ولكن أ.د أسامة ، قد أخبرني أن شواهدا في القرآن الكريم قليلة نظير شواهدا في الشعر الجاهلي ، مما يجعل الدراسة في الشعر الجاهلي أكثر ثراء واستجلاءً لصوره المختلفة ولقد حاول أ.د أسامة في النهاية إزاء رغبتي الشديدة والملمحة (في البحث في بلاغة القرآن الكريم) ، إثنائي عن مثل هذا البحث ، مشددا عليّ العهد إن لم أتناوله بالبحث ، ألا أبوح به لأحد آخر ، إذ قد يتخذ

أ.د أسامة نفسه موضوعا للدراسة مستقبلا ، فدفعني ذلك إلى الموضوع دفعا ، وزادني تمسكا به .

و كنت أدرك منذ البداية مدى صعوبة هذا البحث ، فليس أصعب على باحث من أن يبدأ دراسته بلا سوابق بحثية حقيقية في موضوعه ، غير أنني كنت أحس . ولا أزال . بمدى حاجة المكتبة العربية لا إلى هذا البحث فحسب ، بل إلى بحوث أخرى يستنفرها حول أسلوب التجريد في الشعر الجاهلي ، مما دفعني . مستعينا بعون الله وتأييده . إلى الإقدام عليه ، وتناوله بالدراسة والتحليل .

ولقد تأكد لدي هذا الإحساس في ضوء ما يلي :

أولاً : لم يظفر أسلوب التجريد في الشعر الجاهلي . فيما أعلم . بدراسة مستقلة تحاول رصد صورته ، وبيان جمالياته ، مع إنه له وجود ملفت وفاعل في صياغة الشعر الجاهلي .

ثانياً : لقد تعرض هذا الأسلوب في تراثنا البلاغي لغير قليل من الخلاف حول مفهومه ، وظيفته الفنية ، والشروط التي يتحقق بها ، ثم موقعه في خريطة البحث البلاغي ، مما جعل الحاجة إلى سير أغواره ، وتحديد ملامحه ماسة ، كي نستطيع استجلاء بعض ما يشعه في ذلك الشعر وما يحتويه من صور البراعة التي تضمنتها قصائده ، الصادرة عن أرياب الفصاحة والبيان .

ثالثاً : لقد أورد البلاغيون كثيرا من صور ذلك الأسلوب في الشعر الجاهلي ، غير أن إيرادهم لتلك الصور لم يكن في الأعم الأغلب من أجل تحليلها ، والوقوف على جمالياتها بل من أجل التمثيل بها لذلك الأسلوب ، لذلك وجه الباحث اهتمامه

لدراسة بناء ذلك الأسلوب في البلاغة العربية ، لسد جزء من النقص الواضح في الدراسات الخاصة بذلك الفن البلاغي المهم .

فأخذت في كتابة خطة البحث وبعد انتهائي منها ، كان أن استعد أ.د أسامة للسفر ، وكان هذا الأمر (اختيار الموضوع ، ثم كتابة الخطة) قد أخذ مني فترة من الوقت طويلة مما حدا بي أن أعود إلى أستاذي أ.د حسن عباس ، لأنال منه شرف الإشراف على البحث ، فكان أن اكتمل نصاب أ.د حسن عباس من طلاب الدراسات العليا ، فبارك - بناءً على رغبتي ، حرصاً على مستقبلي ، وخوفاً علي من التأخر في البدء بالبحث - أن أستمع أ.د سعيدة محمد رمضان ، أن تقبلني تلميذاً في مدرستها ، باحثاً تحت إشرافها ورحبت أ.د سعيدة - جزاها الله عني خيراً الجزاء - بالأمر ، فكانت لها يدٌ لا تكفر على هذا البحث مستمعاً إلى نصائحها ، مستعينا بتوجيهاتها ، ولست أزعم أنني فعلت ذلك ولكني حاولت واستعنت بالله فخرج جهد المقل ، فعسى أن يكون فيه إضافة جديدة تستغفر بحوثاً أخرى حول ظاهرة التجريد في الشعر الجاهلي .

وقد تعددت الدراسات الأدبية التي تناولت من وجوه عدة بلاغة الشعر الجاهلي (١) إلا أنها - مع ذلك - مازالت قاصرة عن الإحاطة بجميع جوانبه الثرية بالتنوع والإبداع وهي في حاجة إلى مزيد من الدراسات الجادة التي تحيي تراثه ، وتسبر أغواره المكنونة بنظرة تصطبغ بروح العصر ومذاهب الأدبية والنقدية.

(١) نتكر منها على سبيل المثال : د. محمد العبد : إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي " منحل لغوي أسلوبية " ، دار المعارف بمصر ، ٥٠٤ ، د. حسني عبد الحليل يوسف : أساليب الاستهزاء في الشعر الجاهلي التركيب والموقف والدلالة دراسة نحوية وبلاغية لأساليب الاستهزاء في ضوء المواقف الشعرية ، دار الثقافة للنشر وتوزيع ، القاهرة ، د. ت .

ويعد المنهج الأسلوبي أو ما يعرف بـ "علم الأسلوب" من أبرز المناهج بل ومن أنجحها. فيما أعلم. لدى الباحثين تطبيقاً على الدراسات الأدبية، إذ إن "المنهج الأسلوبي أكثر المناهج المعاصرة قدرة على تحليل الخطاب الأدبي بطريقة علمية موضوعية" (١).
ومن أهم الدراسات التي أفدت منها عن هذا المنهج، وفي هذه الدراسة، وكلها مطبوعة، خمس دراسات:

- الأولى: للدكتور / أسامة البحيري، بعنوان "تحولات البنية في البلاغة العربية".
الثانية: للدكتور / حسن طبل، بعنوان "أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية" (٢).
الثالثة: للدكتور / صلاح فضل، "علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته" (٣).
الرابعة: للدكتور / محمد عبد المطلب، بعنوان "البلاغة والأسلوبية" (٤).
والخامسة: للباحثة / مديحة جابر السايح، بعنوان "المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر التطور - النظرية - التطبيق" (٥).
وكلها دراسات ثرية للنظرية الأسلوبية، سواءً من الجانب النظري أم التطبيقي مما يجعلها، بحق، من الدراسات الرائدة في هذا المجال.

(١) د. فتح الله سليمان: الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، الدار الفنية للنشر و التوزيع، القاهرة، ١٩٩١ م، من مقدمة د. طه وادي ص ٤.
(٢) د. حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
(٣) د. صلاح فضل: علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
(٤) د. محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤ م.
(٥) مديحة جابر السايح: المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر التطور - النظرية - التطبيق، وهي عبارة عن أطروحتها لنيل درجة الماجستير، الهيئة العامة لتصوير النقالة، القاهرة، يونيو ٢٠٠٣ م.

أما بالنسبة لمصادر البحث ومراجعته ، فهي تنقسم قسمين .

القسم الأول : وقد تمثل في المصادر والمراجع القديمة التي تناولت أسلوب التجريد ، ودواوين الشعر الجاهلي التي خلصت نصوصها لذلك الأسلوب وجمعت بين دفتيها ، والمجموعات الشعرية التي وردت في بطونها تلك النصوص متناثرة .
القسم الثاني فقد تمثل في المراجع الحديثة التي ساعدت الباحث ، وهي كثيرة ومتنوعة وهي تضم كتب النحو واللغة ، وكتب الأدب والنقد والبلاغة إلى جانب المراجع المترجمة ، والرسائل الجامعية ، والدوريات ، وكل هذه المصادر والمراجع مثبتة في هوامش البحث ونهايته .

وقد قامت الدراسة بجمع نماذج من أسلوب التجريد في الشعر الجاهلي ، وفقا للتقسيم التراثي لأسلوب التجريد في كتب البلاغة العربية ، واستكشاف جمالياتها ودلالاتها التعبيرية " عن طريق تحليل البنية اللغوية تحليلا عميقا يكشف عن المفارقة والاختلاف بين دلالة البنية السطحية الظاهرة ، ودلالات البنية العميقة . والاستعانة بأساليب التحليل الأسلوبية والنصي التي تتوافق في أحيان كثيرة مع أدوات البلاغة العربية" (١) .

وقد أدخل الباحث تعديلات على تقسيم القزويني وأتباعه لذلك الأسلوب ، طلبا لتقسيم أكثر دقة ، فجمع التجريد المحض وغير المحض في قسم واحد هو : الضمائر والتجريد بواسطة حروف مخصوصة ، وحذفها ، في قسم واحد هو : الأدوات . وثالث تلك الأقسام - دون تعديل - هو التجريد بطريق الكناية ؛ وذلك لكي تجتمع الصور المتقاربة والمتشابهة في قسم واحد .

(١) د. أسامة البحيري : تحولات البنية في البلاغة العربية ، المعتمدة ص ٢٠ .

وقد أضاف الباحث - كذلك - بعض الشواهد الشعرية كنماذج لأسلوب التجريد في الشعر الجاهلي لم يتم تناولها - فيما يعلم - من قبل في كتب البلاغة القديمة أو الحديثة من هذا الجانب ، مستعينا بأدوات التحليل البلاغي وآليات البعد الحديث التي تنصل بالموضوع .

لذا ستكون الدراسة في ثلاثة فصول :

الفصل الأول : المصطلح والأسلوب في السقراط البلاغي .

الفصل الثاني : التجريد في ضوء علم الأسلوب .

الفصل الثالث : صور التجريد في الشعر الجاهلي .

فأما الأول : جعلته في نقطتين أساسيتين :

الأولى : تناولت فيها المعنى اللغوي للتجريد ، متتبعا الجذور التاريخية للوعي بذلك الأسلوب ، متقصيا نظرة علماء اللغة والنحوه ، مراعيبا في ذلك الترتيب الزمني من الأقدم فالأحدث ، وما يتفق مع هذا المعنى من المعاني الأدبية أو الفنية التي أطلقت فيما بعد على العبارات والصور الواردة في الشعر والنثر عبر عصور الأدب المختلفة .

الثانية : وفيها تناولت المعنى الاصطلاحي للتجريد ، كاشفا عن طبيعة علاقة المعنى اللغوي للتجريد . التي تأرجحت كثيرا . بمعناه الاصطلاحي ، ثم عرضت لأبرز القضايا الخلافية التي أثيرت حول أسلوب التجريد في ظل هذا المصطلح

وهي : (أ) مجال التجريد .

(ب) وظيفته .

(ج) موقعه في خريطة البحث البلاغي .



مينا بالأدلة المقنعة، فيما يأمل الباحث. الرأي الذي يربصه الباحث في كل منها.

الفصل الثاني لما كان التجريد قائما على أسلوب العدول أو الانحراف عن الأصل

المثالي (الحقيقي أو المفترض). كما سينبئ ذلك لاحقا. وهو أسلوب يندرج سياقيا تحت المنهج الأسلوبى، بطرا لملاءمته لنية اللغة الأدبية، رأى الباحثة أن يخص فصلا كاملا لدراسة ذلك الأسلوب (التجريد) في ضوء معطيات علم الأسلوب، كاشفا. ما استطاع إلى ذلك سبيلا. عن وجوه التشابه والتلاقي بين التجريد كما تحددت ملامحه الأصلية في تراثنا البلاغى، والتجريد في نظر علماء الأسلوب، وذلك تحت عنوان "التجريد في ضوء علم الأسلوب".

وقد بدأته بتعريف مفهوم الأسلوب أو الأسلوبية، وذلك بتحديد موضوع الدراسة الأسلوبية، ومنهجها، والغاية منها، ثم تطرقت إلى أهم الفروق والمتشابهات بين علمي الأسلوب والبلاغة العربية، مستعينا ببعض الدراسات الأسلوبية والتي كانت من أهمها دراسة قامت بها الباحثة / مديحة جابر السايح بعنوان "المنهج الأسلوبى في النقد الأدبى في مصر التطور. النظرية. التطبيق" (١) سالفة الذكر.

وامتدادا لتلك العلاقة التي تربط بين علمي الأسلوب والبلاغة العربية، قمت بقياس صور التجريد في تراثنا البلاغى إلى مدلول كل من المفاهيم والمصطلحات الأساسية للأسلوبية، والتي تتمثل في خمسة مفاهيم، بدأتها بالاختيار، فالانحراف، فالتلقي، ثم السياق، فالنص.

ففي الاختيار تناولت مفهومه، وفكرته، وأضالته، وما يمثله من أساس نظري صالح للطريقة التوليدية التحويلية، بخاصة لدى كثير من الأسلوبيين الذين نحووا هذا المنحى

(١) مديحة جابر السايح المنهج الأسلوبى، ص ٢٢٧ - ٢٥١.

في تصور الأسلوب ، والذين وجدوا في نظرية ' النحو التحويلي أو التوليدي ' لاسيما تشومسكي (مؤسس هذه النظرية) ما يدعم هذا التصور لديهم ، بين مستويين في الجملة هما : " البنية العميقة والبنية السطحية " ، مبرزا تصور البلاغيين القدماء في هذا الصد الذين حاكوا تصورهم دون بعد عما بين أيدينا الآن ، مما يوجب علينا :

" أن نعي الدور الحقيقي لجهود أسلافنا ولن ينقص ذلك من جهودنا ، ولكن يبقى للأوائل فضل سبق والتقعيد وللأواخر فضل التطوير والتجديد دون غمط لحقوق الأوائل علينا ، فلولاهم لكانا نحن مكانهم نبدأ من حيث بدؤوا وتعرض لما تعرضوا إليه من سهام قاضية ، ونعاني ما عانوه من مشقة التأسيس ، فليس المؤسس للبيان كالمستكمل له " (١) . مستشهدا ببعض الشواهد الشعرية التي تتمثل فيها تلك الخاصة الأسلوبية .

أما الانحراف فتناولت بعد مفهومه ، معايير ، وأشكاله ، ومشاكله ، موضحا تصور البلاغيين القدماء والمحدثين له ، مستشهدا - كما هو الحال في الاختيار - ببعض الشواهد الشعرية التي تتمثل فيها تلك الخاصة الأسلوبية .

و أما المتلقي والسياق والنص ، فشأنهم في تناول شأن الاختيار والانحراف مع مراعاة سمات كل خاصة أسلوبية عن شقيقتها .

و أما الفصل الثالث : فقد توقفت فيه بالتحليل لبعض الشواهد من الشعر الجاهلي التي تمثلت فيها صورة التجريد في : (الضمائر ، الأدوات ، التجريد بالكناية) .

(١) مصطفى صبحي على الله صموه : شعر الشماخ بن ضرار الذبياتي " دراسة أسلوبية " ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة طنطا ، ١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م ، المقدمة ، ص ٩ .

أولاً : الضمائر : ويُندرج تحت هذا المجال نوعان :

(أ) التجريد المحض : وهو " أن تأتي بكلام هو خطاب لغيرك ، وأنت تريد به نفسك " (١) .

(ب) التجريد غير المحض : وهو " خطاب لنفسك لا لغيرك ، ولئن كان بين النفس والبدن فرق إلا أنهما كأنهما شيء واحد ، لعلاقة أحدهما بالآخر وإنما خاطبت نفسك بنفسك . كأنك فصلتها عنك . وهي منك " (٢) .

ثانياً : الأدوات : ويتحقق التجريد فيه بإحدى صورتين :

إحدهما : التجريد بواسطة حروف مخصوصة : وهي : (الباء . وهي على نوعين : الباء التجريدية الداخلة على المنتزع منه ، وباء المعية التجريدية الداخلة في المنتزع بعد دخول الأصلية في المنتزع منه . ، في ، ومن) .

ويتمثل الغرض الرئيس في هذا القسم من التجريد تأكيد المبالغة ، لأن فيه إشارة إلى ادعاء كمال الموصوف حتى صار بمنزلة هي بحيث كانت فيه تلك الصفة منشأ لتفريع أمثالها عنها ، كما أوضح ذلك ابن يعقوب المغربي (٣) .

والأخرى : التجريد بحذف الأداة (أو ما يعرف بالتجريد بدون وساطة حرف ولا كناية) ، وهو " كل ما يكون التجريد فيه بالقرينة لا بحرف من حروف التجريد . وهذا القسم لا يدل على التشبيه " (٤) .

(١) ابن الأثير : المثل السائر ، ١٦٠ / ٢ ، ينظر : الطوسي : الطراز ، ٧٣ / ٣ .
 (٢) ابن الأثير : المثل السائر ، ١٦٣ / ٢ ، ينظر : الطوسي : الطراز ، ٧٤ / ٣ . و ينظر : السبوطي : شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان ، مكتبة النباهي الحلبي ، القاهرة ، ١٩٣٩ م ، ص ١٢١ .
 (٣) ابن يعقوب المغربي : مواهب الفتح (ضمن شروح التلخيص) ، ٣٤٨ / ٤ ، ٣٤٩ .
 (٤) عبد المتعال الصعيدي : بعية الإيضاح للتلخيص المقترح في علوم البلاغة ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م ، ٤٠ / ٤٠ .

ثالثا : التجريد بطريق الكناية : وهو ما يكون مدلولاً فيه على المعنى المجرد بطريق الكناية التي هي أن يعبر بالملزوم ويراد اللازم مع صحة إرادة الأصل " (١) .

رابعا : الأساليب : وفيه نظرت إلى بعض الأساليب الإنشائية ، التي حفلت بأسلوب التجريد في الشعر الجاهلي ، ويقف البحث في دراسة الأساليب الإنشائية عند الإنشاء الطلبي ، لأن " تأكيد البلاغيين على هذا الجانب التوليدي في الأساليب الإنشائية بني عليه استبعادهم لأساليب الإنشاء غير الطلبي ، لقلّة إمكاناتها التوليدية، نتيجة لثبوت الدلالة الأصلية على الصياغة في مستوى البنية السطحية، والبنية العميقة " (٢) فتطوّرت من خلالها إلى أسلوبية : الاستفهام ، والأمر ، إلى جانب أسلوب الشرط مستأنسا، ما أمكن . بالشواهد الشعرية الجاهلية التي تؤيد تلك الوجهة وتزكيها

خامسا : التقديم و التأخير : وفيه تناولت بعض صور التجريد التي ظهر فيها أسلوب التقديم و التأخير . . حاولا كشف أسرارها ، و بيان جمالياتها .
وقد وقفت بالتحليل . إزاء ما سبق . مسترشدا في كل شاهد بما ذكر في توجيهه من آراء في كتب اللغة أو النحو أو المعاجم فضلا عن كتب الأدب و البلاغة بطبيعة الحال وقد بذل الباحث أقصى ما يستطيع من جهد في تحييص تلك الآراء في كل شاهد قبل أن يرجع أحدها ، أو يميل إلى رأي آخر سواها .

(١) ابن يعقوب المغربي : مواهب اللذات (ضمن شروح التلخيص) . ٣٥٤ / ٥٠ .

(٢) د. أسامة البحيري : تحولات البنية في البلاغة العربية . ص ٩٥ .

و أنهيت البحث بخاتمة تضمنت أهم نتائجه .

وبعد ، فلست أزعم أنني قلت الكلمة الأخيرة في هذا البحث ، ولكنني اجتهدت ما وسعني الاجتهاد ، فإن كنت قد أصبت فذلك بتوفيق من الله ، وإن كانت الأخرى فمن نفسي.....

وقد كان لأستاذتي الكبيرة الأستاذة الدكتورة / سعيده محمد رمضان . الفضل الأكبر في خروج هذا البحث إلى النور ، وتسهيل مهمة التسجيل التي كانت متعثرة آنذاك وكذا فقد تعلمت منها كيف أفهم التراث ؟ وكيف أتعامل معه في أثناء دراستي على يديها في السنة التمهيدية للماجستير بآداب طنطا ؟

كما كان لرعايتها البالغة ، وملاحظاتها الدقيقة ، ونصائحها الغالية ، أكبر معين على مواصلة البحث ، فلها مني أشد إعزاز ، وأعظم تقدير ، لقاء ما أحاطتني به من عناية أنارت البصيرة ، وشحذت العزيمة وأذكت الهمة ، فجزاها الله عني خيرا الجزاء ، ونفع بها طلاب العلم إنه سميع مجيب الدعاء .

كما أتوجه بالشكر إلى الأستاذ الدكتور / أسامة البحيري ، الذي رشع لي هذا البحث ونصحني به ، فكانت نعم النصيحة وكان نعم العون ، فآله أسأل أن يجزيه عني خيرا وأن يديم عليه الصحة والعافية .

كما أتوجه بالشكر إلى أستاذتي الكبيرة الأستاذة الدكتورة / حسن عباس ، الذي كان له فضل عظيم أيضا في توجيهي الوجهة العلمية الصحيحة ، كما كان لكتبه وأبحاثه أكبر أثر في الباحث ، فقد وجهت نظري إلى أشياء كثيرة كانت غائبة عنه ، فجزاه الله عني خيرا وهدى به طلاب العلم .

كما أتوجه بالشكر إلى إحتوي وأساتذتي أسرة اللغة العربية بأداب طنطا ، الذين لم يألوا جهدا في تقديم العون والمساعدة •

ولا يفوتني أن أشكروالذي اللذين غمراني بدعائهما واللذين تمنيا أن يرى عملي هذا النور في حياتهما ...

كما أتوجه بالشكر إلى من شجعنتني وباركت خطاي نارسا ، وباحتا ، إلى أختي •
كما أتقدم بالشكر الجزيل لكل من قدم إليّ معروفا أو أسدى إليّ نصحا أو دلال لي صعبا وهم كثيرون ، وأشكركم جميعا على حضوركم ومشاركتي في هذا اليوم الطيب •
والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل •

" قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةَ مِنِّي لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ " (طه : ٢٥-٢٨)

صدق الله العظيم

* * *